موقع أرشيف الألباني
http://www.Alalbani.info

سلسلة: أخلاق المسلم

للعلاَّمة المُحدِّث:

محمَّد ناصر الدِّين الألبانيّ
-رحمه الله-

إعداد: موقع أرشيف الألباني

http://www.alalbani.info

سلسلة أخلاق المسلم

من شرح كتاب: الأدب المفرد

للشيخ العلَّامة / مُحمَّد ناصر الدِّين الألبَاني

(رحمه الله)

الشريط السادس

[تعليق على حديث: (*ليسَ منَّا من لم يرحَم صغيرَنا ويعرِفْ شرفَ كبيرِنا*)]

الشيخ الألباني –رحمه الله–: الشيخ: الكبير سنًّا ولو لم يكن كبيرًا في قدره و علمه؛ لأنه جاءت أحاديث: (من إجلال الله –تبارك تعالى– إجلال ذي الشيبة المُسلم)، (ذي الشيبة المسلم) بس، ما اشترط هنا أن يكون عالمًا، يكون فاضلًا.. إلى آخره، فإذا اجتمع العلمُ والفضلُ والشيبةُ، فهذه عوامل ليس بعدها عامل آخر يستوجب به صاحبُه أن يُجَلّ وأن يُحترم.

(من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا) فهذه أُمور، أو جُمل معناها واضح، لكن إيش معنى: (فليس منَّا)؟. قد يفهم البعض: (فليس منَّا) يعني ليس مسلمًا! فهل هذا الفهم صحيح؟؟

الجواب: لا، لكن معنى (ليس منَّا) أي ليس على نهجنا، وعلى خُطتنا، وعلى شريعتنا. كل الأحاديث هنا في هذا الباب جاءت هكذا، لكن هناك رجل من كبار علماء الحديث ومن كبار علماء الحنفية [...] وهو المعروف بأبي جعفر الطحاوي، له كتاب اسمه: مُشكل الآثار، جمع فيه جُملة كثيرة من الحاديث الثابتة عن النبي ﷺ وفي كل منها: (ليس منَّا)، منها هذا الحديث، منها (من غشَّنا فليس منَّا)، (من رمانا بالليل فليس منَّا)، (من حمل علينا السلاح فليس منَّا)، أحاديث كثيرة، كلها يُبتدأ بها أو يُختتم بها، (ليس منَّا من فعل كذا وكذا) أو (من فعل كذا وكذا فليس منَّا).

فما معنى هذه الجملة: (فليس منَّا)؟؟ ليس مسلما؟! لا، لا يجوز إخراج المسلم من دينه، والحكم عليه بالردَّة لمجرَّد أنَّه خالف حُكمًا شرعيًا، لمجرَّد أنه لا يحترم الكبير!، لمجرَّد أنه لا يرحم الصغير، نحكم عليه إنه ارتد عن دينه! لا، [...] فمعنى: (ليس منَّا) أي ليس في كمالنا الذي نحن نحبه للمسلمين جميعا إخواننا.

وعلى العكس من هذه العبارة تأتي عبارة أخرى: (فهو منهم)، مثلا قول الله –تبارك وتعالى– في حق الكافرين: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ...﴾ [المائدة:51] كمان هذه تُفسَّر من بعض النَّاس –خاصَّة اليوم جماعة التكفير في مصر وفي غيرها – (فهو منهم) أي فهو كافر، أهو كذلك؟؟ الجواب لا!، لابد إذا أردنا أن نحكم بظاهر هذا الخبر (ليس منَّا) أو (فهو منهم) – جملة خبرية– إذا أردنا أن نحكم بظاهر هذه الجملة أو تلك فيجب أن نلحظ معنًا آخر، هذا المعنى الآخر له علاقة بالقلب.

المعنى الأوَّل هو الفعل: (لايرحم الصغير) فعلًا لا يرحم، (لا يوقِّر الكبير) فعلًا لا يوقِّر الكبير، (فهو منهم): من يتولَّهم أي هو من الكفَّار، (يتولَّهم): ماذا يفعل؟؟ يواليهم ويناصرهم ويخدمهم و و إلى آخره، هذه كلها أعمال ظاهرة، فإذا وقفنا عند الأعمال فقط حينئذٍ لا يجوز تفسير هذه الجملة في الحديث (ليس منَّا) على ظاهرها كما لا يجوز تفسير تلك الآية وما شابهها أيضًا على ظاهرها.

(ليس منَّا) يُقال:على طريقتنا وعلى محاسن أخلاقنا، (فهو منهم) أي في أخلاقهم وعاداتهم السيئة، أمَّا إذا أردنا أن نقول: (فليس منَّا) مُطلقا أي ليس مُسلما، أو(فهو منهم) مطلقا أي فهو كافر فهنا يجب أن يُلاحظ شيئا آخر له علاقة بالقلب.

(فهو منهم): إن كان يواليهم ويُعاونهم ويُناصرهم على المسلمين وهو يستحل ذلك بقلبه أيضا فالآية حينذاك على ظاهرها، فهو منهم قلبًا وقالبًا.

كذلك هنا في الحديث: (فليس منَّا) إذا كان لا يرحم الصغير ولا يوقِّر الكبير ولا يعرف للعالم حقه تدينًا، عقيدةً ليس فقط عملًا، فحينذاك الحديث على ظاهره (فليس منَّا). وعلى هذا التفصيل وأعني بصورة خاصَّة مراعاة العمل ومراعاة القلب، وبتعبير آخر: مراعاة عمل الأعضاء من جهة، ومراعاة عمل القلب من جهة أخرى، يأتي التفصيل في تفسير النصوص، فتارة نجري النص على ظاهره وذاك حينما يكون العمل شمل العملين: عمل البدن وعمل القلب، (فهو منهم) عملًا واعتقادًا، يعني: يعتقد ما يعتقدون ويستحل ما يستحلون بقلبه وليس فقط بجوارحه وبدنه.

كذلك (ليس منَّا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا) الحديث، (فليس منَّا) يجب أن نلاحظ: هل هو فقط عملًا لا يرحم؟ هل أيضا بيستحل عدم الرحمة قلبًا؟؟ فإذا اجتمع العمل الجارحي البدني مع العمل القلبي فذلك هو الكفر، مراعاة اجتماع هذين العملين: العمل القلبي والعمل البدني، مراعاة اجتماعهما او انفصالهما يحل على طالب العلم مسائل كثيرة جدًّا، منها ما يتعلَّق

بالحديث الذي [ذكرناه] آنفا: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، (لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)، (لا كذا وهو مؤمن ...) أحاديث كثيرة في هذا المعنى، كيف نُفسّر هذه النصوص؟ على ظاهرها؟؟ ممكن نفسِّرها على ظاهرها وممكن نُفسِّرها على طريق التأويل، كما فعلنا في حديث الدرس الآن (فليس منَّا).

يشرب الخمر ولكن لا يستحل الخمر بقلبه، يسرق السرقة ولكن لا يستحل السرقة بقلبه، فنُفسِّر الحديث حينذاك (لا يزني، لا يسرق، لا يشرب الخمر في كل ذلك وهو مؤمن إيمانًا كاملا) ليش؟؟ المؤمن الكامل بيسرق؟؟ المؤمن الكامل بيزني؟؟، بيشرب خمر؟؟ حاشا لله –عز وجل– فهذا يفسّر الحديث على ظاهره، (لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) ليس مؤمن إطلاقا في حالة إذا يستحلَّها بقلبه، يعني يقول بلى حرام بلا حلال، كما يقول بعض الجهَّال اليوم، فهذا هنا اقترن العمل القلبي الفاسد بعمل الجارحة الفاسد، فاقتران العمل الفاسد القلبي هو الذي يُسوِّغ للعالم المسلم أن يُفسر حينذاك الآية أو الحديث على ظاهره، (لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) له تفسيران: إذا كان مؤمن قلبًا لا يجوز أن نخرجه من الدين ما دام هو مؤمن، لكن نقول ليس مؤمنًا إيمانًا كاملًا؛ لأنه واضح أن لو كان مؤمنا إيمانا كاملا كان منعه أن يقع في هذه الموبقات ويرتكبها، لكن إذا هو لا [...] بحرمة كل هذه الخصال كلها مثل السرقة والخمر ونحو ذلك، فحينئذٍ يكون الإيمان المنفي عنه هو الإيمان المطلق، ويكون في الآخرة من

الخالدين في النار، هذا ما وجب بيانه بمناسبة هذا الحديث (ليس منَّا) وبمناسبة ذاك الحديث المسؤول عنه.

وهناك أحاديث كثيرة وكثيرة جدًّا حلّت إشكال بملاحظة ما نسميه نحن بالكفر العملي والكفر الاعتقادي، فإذا اقترن مع الكفر العملي كفر اعتقادي فليس مؤمنًا، وإذا قيل: يدخل الجنَّة؟؟ لا يدخل الجنّة مُطلقًا، أمَّا إذا كان هناك فيه إيمان اعتقادي ولكن يقترن معه كفر عملي يعني يفعل فعل الكفَّار لكن لا يؤمن إيمان الكفَّار فهذا يكون فاسقًا عاصيًا، ولا يكون مرتدًّا كافرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فيقول المؤلِّف –رحمه الله –: *بَابُ: إِجْلالِ الْكَبِيرِ*، وهذا الباب كالباب السابق في المعنى

روى بإسناده الحسن عن الأشعري قال: (*إن من إجلال اللهِ إكرامَ ذي* الشيبة المسلم، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، *وإكرام ذي* السلطان المُقسط) هذا الحديث إسناده حسن، ولكن هنا ذكره موقوفًا على الأشعري وهو أبو موسى الأشعري الصحابي المشهور، وقد جاء في بعض كتب الحديث مرفوعًا، وهو ثابتٌ كذلك مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

يقول فيه ﷺ إنَّ من تعظيم الله –عز وجل – وتبجيله أن يُكرِم المسلم صاحبَ الشيبة المُسلم يعني كبير السن، هذه الجملة هي على حد قوله ﷺ في الأحاديث السابقة في الدرس الماضي:

(ليس منَّا من لم يُجلَّ –أو يوقِّر– كبيرنا)، إلَّا أن هذا الحديث السابق يحتمل من المعنى ما هو أكثر من حديث هذا الباب الآن، ذاك كما تكلَّمنا يشمل بكلمة (كبيرنا) الكبير سِنًّا والكبير علمًا وفضلًا –كما تكلَّمنا – أمَّا هذا فهو أخصّ، فهو صريح في إكرام الرجل كبير السن لشيبته؛ لأنه يقول: (إنَّ من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المُسلم).

ثم نتابع في هذا الحديث فوائد أخرى، فيقول: (وحامل القرآن): أي من تعظيم الله –عز وجل وتبجيله– أن يُكرِم المسلم حامل القرآن، حافظ القرآن سواء كان صغير السن أو كبيره، بل إذا كان حامل القرآن وكبير السن فقد اجتمع فيه سببان لتعظيمه:

السبب الأول: كونه يحفظ القرآن

والسبب الثاني: كونه شيخا مُسنًّا

فالجملة الأولى من الحديث فيها حضّ على إكرام صاحب السن الكبير– بغضّ النظر عن الصفات الأخرى – والجملة الثانية فيها حضّ على إكرام حامل القرآن.

وحامل القرآن كناية عن حافظ القرآن، وليس المقصود بحافظ القرآن الذي يتلوه فقط وإنّما المقصود ما هو أخص وأعظم من ذلك وهو الذي يحفظ القرآن.

ولكن هل كل حافظ للقرآن يستحق هذا الإجلال والإكرام الذي ذكره الرسول ﷺ في هذا الحديث، وجعل هذا الإكرام من إكرام الله –عز وجل – وإجلاله؟؟ هل كل حامل للقرآن

يستحق مثل هذا الإجلال والإكرام؟ الجواب لا، وذلك لما بيّنه ﷺ بقوله: (غير الغالي فيه ولا الجافي عنه) فهاتان الصفتان إذا توفرتا في حامل القرآن استحق إجلال المسلمين له لحمله وحفظه للقرآن.

هاتان الصفتان: الصفة الأولى:(الغالي فيه): هو الذي يُحمِّل القرآن من المعاني والأحكام ما لا يتحمَّله، وهذا شأن المبتدعة قديمًا وحديثً، لاسيما فيما يتعلَّق بعلم الكلام وبخاصَّة منه ما يتعلَّق بصفات الله –عز وجل – فهؤلاء يُحمِّلون الآيات القرآنية المتعلِّقة بكثير من الأمور الغيبية ومنها الصفات الإلاهية يُحمِّلون تلك كل الآيات ما لا تتحمَّل من المعاني، فهذا غلو، وهذا بحثٌ له علاقة بعلم التوحيد، ولكن لا بأسَ من أن نضرب على ذلك مثلًا، وهذا المثل له علاقة بعقيدة جماهير المسلمين اليوم الذين انحرفوا فيها عن عقيدة السلف الصالح. فطالب العلم اليوم لا يكاد يفتح كتابًا من كتب التفسير ليطّلع على معنى قول الله –تبارك وتعالى – في أكثر من آيةٍ واحدة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:5]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس:3]، ونحو ذلك، لا يكاد يفتح كتابًا من كتب التفسير ليفهم معنى هذا الاستواء المنسوب إلى الله – تبارك وتعالى، وإذا به يجد جماهير هذه الكتب تُفسِّر ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى: (استولى) علمًا بأن السلف ﷺ إنَّما فسَّروا ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى: (استعلى)، كما ذكره الإمام البخاري في صحيحه عن بعضهم – وفي ظنِّي أنه: عطاء– كما قال ذلك الإمام الذهبي في رسالة خاصّة في هذه المسألة الهامَّة وهي التي سمَّاها بـ (العلو للعلي الغفَّار)، هذه رسالة خاصَّة، ينبغي لكل طالب علمٍ حريص

على تصحيح عقائده بصورة عامَّة وتصحيح فهمه لهذه الآية بصورة خاصَّة أن يلجأ إلى هذه الرسالة: (العلو للعلي الغفَّار) للحافظ الذهبي، ولأهمية هذه الرسالة كنت اختصرتها بنفسي وعلَّقت عليها بعض التعاليق المفيدة وخرَّجتُ أحاديثها وخرَّجت منها ورميت بها ما لا يصح نسبته للنبي ﷺ.

ففي هذه الرسالة وغيرها من الرسائل السلفية نجد أن علماء السلف لا يعرفون: ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى (استولى)، وإنَّما ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى (استعلى)، وهذا التفسير مع كونه صحيحًا فهو الذي يلتقي مع كل الآيات وكل الأحاديث التي تتفق جميعًا على لإثبات صفة (العلو) لله –تبارك وتعالى–، من ذلك مثلا آية واحدة أذكرها الآن فإنَّها تصف عباد الله –تبارك وتعالى– الرحمن بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:50]، فإذا نظرنا إلى عالمنا الإسلامي اليوم لوجدناه إذا كان فيه خائفون وجلون من الله –عز وجل – فإنَّهم يخافونه ليس هكذا كما وصف الله –عز وجل – عباده بقوله:﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ وإنّما هم يخافونه معتقدين أنه في كل مكان، كما نسمع هذا:(في كل مكان وفي كل زمان –الله موجود في كل مكان، الله موجود في كل موجود)!!!، الله فوق المخلوقات كلها، هذه العقيدة هي العقيدة الصحيحة، أمَّا اعتقاد أن الله في كل مكان، وأنَّه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا داخل العالم ولا خارجه، فكل هذه الآراء هي من الغلو والمُجافاة لله –عز وجل– في تفسير كتابه تبارك وتعالى.

فهنا اشترط لحامل القرآن وحافظه الذي يستحقُ إكرامه وإجلاله من المسلمين هاتين الصفتين:

الأولى: ألَّا يكون مغاليًا فيه، ألَّا يُحمِّل القرآن من التفاسير والمعاني ما لا يتحمَّل كمثل الآية السابقة: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فسَّروها بـ: (استولى). فنحن لو تأمَّلنا قليلا في هذا التفسير لتبيَّن لنا أن هؤلاء الذين فسَّروا هذا التفسير الغالي والحائد عن المنهج السلفي أنهم لم يستفيدوا منه شيئا، ذلك أنهم حين يفرّون من التفسير السلفي لـ ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى (استعلى) يتوهَّمون أن وصف المسلم لربِّه بأنَّه فوق المخلوقات أنَّه في مكان، وأنَّه حصرناه في مكان، إذا قلنَّا: على المخلوقات!!! ثم يقعون في ما منه فرّوا، مع أن الذي اتَّهموا به السلف الذين يُفسِّرون ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى (استعلى) أنّهم يجعلونه في مكان هذا اتّهام باطل لا أصل له، وهذه نقطة أعتقد أن النساء كل النساء –إلَّا ما شاء الله – وقد يكونوا أفراد قليلات منهن لا يعرفون هذه العقيدة على الوجه الصحيح؛ لأن هذه العقيدة الصحيحة وهي أن الله –عز وجل – ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (استعلى)، وأن هذا الاستعلاء لازمه أن الله –عز وجل فوق المخلوقات، هذه هي العقيدة الصحيحة، [يورد] الغلاة المنحرفين في تأويل القرآن عن التفسير السلفي، يريدون شبهات وإشكالات لا أصل لها، ولكنَّها قد تؤثِّر في عقيدة أفراد من السلفيين الذين لم يعرفوا الجواب لتلك الشبهات.

هم يقولون مثلا: إذا قلنا أن الله –عز وجل– فوق السماوات وعلى المخلوقات كلها –كما قلتُ آنفا – يقولون: إذن الله في مكان، الجواب: كلَّا، لأن المكان مُشتقٌ من الكون، ونحن نعلم أن الله كان ولا شيئ معه – كما جاء في صحيح البخاري من حديث عمران بن حُصين: (كان

الله ولا شيء معه) الآن نحن مضطرون لدفع تلك الشبهات أن نتسائل: تُرى هل كان الله –عز وجل– في مكان قبل أن يكون شيء معه؟؟ الآن يوجد شيء معه لأنه كان ولا شيء معه ثم خلق السماوات وخلق العرش وخلق البشر وخلق ما شاء الله أن يخلق، فيوم كان الله ولا شيء معه هل كان في مكان؟؟ الجواب: لا.

إذن حينما خلق المخلوقات –سبحانه وتعالى – ما كان في مكان لأنه لا يزال في عظمته وفي جلاله وفي علوّه، ما وُجد له مكان ليحلّ فيه –حاشاه – كيف وهو أكبر من الكون كله الذي جزء منه المكان، فالله أكبر من كل شيء، فقبل أن يخلق المخلوقات لم يكن مكان، فهو كان معتزًّا بذاته وبجلاله غير فقير ولا محتاج إلى أن يكون له مكان يخلقه ليحُلّ فيه –حاشاه لذلك –

إذن هو لمَّا خلق الكون ما سكنه ولا اتّخذه وطنًا له، وإنَّما على العكس من ذلك تُفيدنا الآية السابقة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ علمًا بأن العرش أكبر من كل المخلوقات وهو سقف الفردوس، عرش الرحمن سقف الفردوس كما جاء في صحيح البخاري: (إذا سألتم الله الجنَّة فاسئلوه الفِردوس فإنَّها أعلى الجنان وفوقها عرشُ الرحمن)، فإذن إذا عرفنا أن المكان مُشتق من الكون، والكون مخلوق، والكون لم يكن من قبل مخلوقًا على العكس: الله كان ولا شيئا معه، إذن هو من هذه الحيثية هو الآن كما عليه كان –وأرجو الانتباه إلى هذا القيد الذي قلته آنفا – هو من هذه الحيثية أي من حيث أنه لم يكن في مكان كما كان قبل أن يخلق السماوات والأرض، فهو الآن من حيث هذه الحيثية كما كان، قديمًا أزليّا قبل أن يخلق المخلوقات لم يكن في مكان

فهو الآن كما كان، لكننا لا نقول كما يقول غُلاة الصوفية الذين يتزيَّدون على الأحاديث النبوية فيُضيفون إلى حديث عمران بن حصين السابق الذكر بلفظ: (كان الله ولا شيء معه) زاد الغزَّالي في الإحياء وغيره في غيره زيادة مُفسدة لهذا الحديث الصحيح، فقال: (كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) أنا قلت هذه الجملة المضافة إلى الحديث صحيح، لكن لا وصلًا لها بالحديث الصحيح، فإن هذا الفصل يجعل الحديث مبطلًا لعقائد المسلمين الصحيحة، ومؤيّدًا لوحدة الوجود الباطلة التي يقول بها بعض الغُلاة من الصوفية، أنتبهن! (كان الله ولا شيء معه وهوالآن على ما عليه كان) أي لا شيء معه، الصحيح: أنه لا شيء معه، بداهةً هناك أشياء يجمعها كلمة (الخلق): المخلوقات على أنواعها الإنسان، والحيوان والجماد، والجماد ينقسم إلى فصائل كثيرة السماوات وأراضين والجبال والأنهار هذه ليست أشياء؟ فيُقال: لا شيء معه؟؟

(كان الله ولا شيء معه وهوالآن على ما عليه كان) لا يسلم محذور من محذورين، وأحلاهما مر –كما يُقال –:

المحذور الأول: أن نعتبر أن الله –عز وجل – ما خلق شيئا

المحذور الثاني: لا يمكننا أن ننكر أن الله خلق كل شيء، ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:102] هذا نص القرآن الكريم، كيف هو مع كونه خالقًا كل شيء هو الآن على ما عليه كان، كان ولا شيئ معه!؟ الآن توجد هذه المخلوقات، التأويل من غلاة الصوفية:(لا هو إلَّا هو) أي هذه

المخلوقات هي الله، فحينئذٍ تصح هذه الجملة الباطلة على هذا التأويل الصوفي الغالي أي هذه المخلوقات التي نراها نحن في تعبير الصوفية هي مظاهر لله سبحانه وتعالى فهي منه؛ ولذلك يقولون: كل ما تراه بعينك فهو الله، إذن (هو الآن على ما عليه كان) معناه: ليس ثمّة خالق ولا مخلوق، وإنَّما هما شيء واحد؛ لذلك يقولون في توحيدهم: (لا هو إلَّا هو) بل يُفصحون فيُبطلون التوحيد الذي جاءت به الرسل قالوا: (لا إلاه إلّا الله) هذا توحيد العامَّة وليس توحيد الخاصة، توحيد الخاصَّة: (لا هو إلَّا هو) وخاصّة الخاصة (هو هو)يعني ما في خالق ولا مخلوق خلاصة الأمر.

[سـؤال غــير مسـموع]

الشيخ الألباني – رحمه الله –: العرش ليس أزليًا لكن هو من أوَّل المخلوقات، كان الله ولا شيء معه، [...]، وانت ذكَّرتيني الآن، أنا أردت أن أقول أن هؤلاء فسّروا ﴿اسْتَوَى﴾ ب (استولى)، وتطلع هنا الكلمة التي تكلّمت بها [أم العبد] –وهي لا تريدها بطبيعة الحال – هي قالت: إذن ما كان مستولي، الله –عز وجل – قبل أن يخلق أي مخلوق هو مستولي عليه؛ولذلك قلت أنا وقدَّمت المبتدأ وما جئت بالخبر، قلت لإيش فايدة فسَّروا ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى (استولى)؟ فكرهم أنهم ما يحصروا الله في مكان، فنحن أثبتنا الآن أن الله من حيث المكان هو كما كان، فكان ولا شيء معه، فلم يكن هناك مكان، وكذلك لمَّا خلق المخلوقات ووُجد المكان فهوما اتغيَّر–

سبحانه وتعالى– ولا حلَّ هذا المكان، هذا رد الشبهة التي اضطرتهم إلى تأويل ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى (استولى)، لكن يا تُرى؟ ما الذي استفادوه من هذا التأويل؟ لا شيء أبدا، [...]

قيل لهم الآيات الواردة في إثبات استواء الرحمن على عرشه كثيرة، منها: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ [الأعراف:54] ثم: تفيد التراخي، يعني بالمرتبة الثانية، يعني بعد أن خلق السماوات والأرض في يومين، بعدين استوى على العرش، الآن ورد عليهم سؤال: قبل أن يستوي على العرش –بنص القرآن الكريم – أليس كان مستويًا عليه؟؟

سائلة: العرش كان موجود من قبل؟؟

الشيخ الألباني – رحمه الله –: العرش موجود قبل السماوات والأرض، يعني خلق السماوات والأرض بعد العرش، فالعرش أقدم، حتى قال بعض العلماء جوابًا على سؤال ما هو أوَّل مخلوق لله –عز وجل–: قولان: منهم من يقول: العرش، ومنهم من يقول: القلم، وأنا أذهب إلى هذا المذهب؛ لأن هناك نص: (أول ما خلق الله القلم) هذا نص صريح أنه أول مخلوق هو القلم، لكن بعض العلماء الذين بدا لهم أن العرش مخلوق قبل القلم يقولون: لا، القلم خُلق بعد العرش، المهم: لا يوجد شيء أزلي إلَّا الله –عز وجل – وهذا عقيدة إسلامية من لم يؤمن بها فهو كافر، لكن هناك خلاف: أول مخلوق يا ترى العرش أو القلم؟.

ولو أتيت للآية ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:54] معناه أن العرش كان موجودًا قبل خلق السماوات والأرض، فنحن لو فرضنا

أن خلق السماوات والأرض خلقهما الله في لمحة البصر –مع أنه يقول لحكمة بالغةفي يومين – بعد اليومين استوى على العرش أي استولى، يا تُرى قبل يومين ما كان مستولي؟؟ فإذا قالوا: ما كان مستولي، عجّزوه، وكيف يُعقل أن يوصف الله خالق كل شيء ومدبّر كل شيء بالعجز؟؟ لا يقول هذا مسلم، لمّا عرض عليهم هذا السؤال من العلماء السلفيين: كيف أنتم تقولون ثم (استولى)؟؟ هلا نسبتم الله إلى العجز؟؟ وإلى أنّه كان غير مستولٍ على هذا الخلق العظيم وهو العرش الكريم؟؟ طبعًا يقولوا: لا، فيقولوا: نحن بدنا نقول – هم يقولون– استيلاءه ليس كاستيلاء البشر. إذن ارجعوا للتفسير السلفي: ﴿اسْتَوَى ﴾ بمعنى(استعلى)، لكن استعلاء الله على عرشه ليس كاستعلاء الملوك على عروشهم وانتهى الأمر!! وهكذا يجب أن يُقال في كل الصفات الإلاهية،وهذا أسسه ربنا–عز وجل – في غير ما آية كريمة، فهو يقول مثلًا: في السورة التي تُساوي ثُلث القرآن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الصمد:1–4]، ما معنى: (كفو) يعني شبيه و مثيل و نظير. والآية الأخرى كذلك أو أصرح: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، فالآية جمعت بين التنزيه:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وبين الإثبات للصفات:﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.

فنحن نقول كما قال السلف وغيرهم: الله سميع لكن سمعه ليس كسمعنا، الله بصير لكن بصره ليس كبصرنا، وهكذا فرض التنزيه في كل الآيات، آيات الصفات وأحاديث الصفات، هذا هو

منهج السلف ومذهب السلف: اثبات كل الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه أو أخبر بها نبيه في سنته، إثبات مع تنزيه لا تشبيه ولا تعطيل.

التشبيه: أن يُقال بصره كبصرنا –حاشاه–، وسمعه كسمعنا، وكلامه ككلامنا، إلى آخر الصفات، هذا كفر لا يجوز ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

التعطيل: نفي الصفات مُطلقا حذرا من التشبيه، لا، نحن لمَّا نأخذ الميزان الذي بيدنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لا نقع في التشبيه، على الرغم من ذلك تجد المعتزلة بصورة خاصَّة وأكثر الطوائف الأخرى بصورة عامة كالماتوريدية والأشاعرة يُنكرون كثيرا من صفات الله كالاستواء على العرش، يقولون ﴿اسْتَوَىٰ ﴾ بمعنى (استولى). طيب، (استولى) معناه أنه ما كان مستولي من قبل؟؟ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾، [يقولون:]: لأ، استيلاء الله ليس كاستيلاء البشر،طيب! استواء الله: أي استعلاؤه، خلُّوا الآية إذن كما فسَّرها السلف[...]: استعلاء الله على عرشه ليس كاستعلاء الملك على كرسي عرشه.

لذلك جاء في عقيدة من عقائد الحنفية الجيّدة، قال:

ورب العرش فوق العرش *لكن* ** *بلا وصف التـ*مكّن وانفصال

قول: (بلا وصف التمكُّن وانفصال) هو تأكيد لكون علو الله على عرشه ليس كعلو المخلوق على عرشه؛ لأن هذا المخلوق لو سُحِبَ العرش من تحته لوقع على أمِّ رأسه ولما استطاع أن يستقل بنفسه، هذا فارق كبير؛ لذلك قال هذا العالم الفاضل:

ورب العرش فوق العرش لكن ** بلا وصف التمكُّن وانفصال

سؤال: هذا حنفي؟

الشيخ الألباني –رحمه الله–: اي نعم، وهذه القصيدة اسمها *بَدْءِ الْأَمَالِي*، (يقول العبد في بدء الأمالي) قصيدة فيها أوصاف لله –عزوجل– جيدة،

سؤال: الأحناف يأخذون بالتأويل والا لأ

الشيخ الألباني –رحمه الله–: الأحناف المتأخرين مثل الأشاعرة بيأولوا لكن المتقدمين منهم وبخاصة إمامهم فهو سلفي العقيدة يقول: من لم يقل أن الله –عز وجل – في السماء فقد كفر؛ لأن ربنا يقول: ﴿*أَأَمِنْتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ*﴾ [الملك:16]، فهؤلاء الذين يُغالون في القرآن يقولون ﴿*أَأَمِنْتُم مَنْ فِي السَّمَاءِ*﴾ يعني الملائكة، الله أكبر! الله يتكلَّم عن ذاته: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(16) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17) ﴾ كل هذه الصفات أعطوها للملائكة، فأبو حنيفة يقول: من لم يعتقد بأن الله في السماء فقد كفر؛ لأن معناه إنكار هذه الآية والآيات كثيرة والأحاديث مرويّة.

كالحديث المشهور لكن الناس غافلون عن العقيدة التي تنطوي تحت هذا الحديث المشهور: (الراحمون يرحمهم الرحمن)،(ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)، (ارحموا من في الأرض) ليس المقصود من الحديث: (من في الأرض) يعني الحشرات التي تحت التراب بطبقات التي لا تصل إليها أبصارنا ولا اكتشافاتنا وإنَّما (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) من في الأرض من الإنسان والحيوان ولا تحمّلوهم ما لا يطيقون، ولا تعذّبوهم، و و إلى آخره...كما جاء ذلك مفصّلا في الأحاديث الصحيحة، فحينئذٍ نفهم من الحديث: (يرحمكم من في السماء) أي يرحمكم من على السماء، فيأتي المؤولة والمُعطِّلة فيُفسِّرون هذه النصوص من الآيات والأحاديث النبوية بخلاف ظواهرها، ليش؟؟؟ قال حتى لا يُشبِّه!!! طيب أنتم شبَّهتم ونقَّصتم كمان و قلتم:

استوى بشرٌ على العراق بغير سيفٍ ولا دمٍ مهراقِ

هذا بيت شعر استدلوا به في تفسير الآية، مع أنه من حيث الأدب العربي لا يصح تفسير نصوص الكتاب والسنّة بالشعر الحادث وإنما الشعر العربي في الجاهلية باعتبار لِسَّاتهن على أصالتهم في اللغة العربية وما تسرّبت إليهم العُجمة فيستشهد العلماء حتى في إثبات ألفاظ لغوية بالشعر الجاهلي القديم فمع أن هذا الشعرليس قديما يُستفاد به أن ﴿اسْتَوَىٰ﴾ تأتي بمعنى استولى، مع ذلك فقد شبَّه الله –عز وجل – بمن؟ ببشر:

استوى بشرٌ على العراق بغير سيفٍ ولا دمٍ مهراقِ

فلمَّا قيل لهم كيف تُشبِّهون استيلاء الله على العرش باستيلاء بشر على العراق؟؟ ينسحبوا، يقولوا: لا، نحن ما بنقول أن استيلاء الله على عرشه كاستيلاء بشر على العراق، فإذن دعوا الآية على ظاهرها وقولوا كما قال السلف ﴿اسْتَوَىٰ﴾ بمعنى (استعلى)، لكن استعلاؤه ليس كاستعلاء البشر وانتهى الأمر، هذا البحث في الحقيقة يطول ومهم.

ويكفي الآن هذا الإسناد لتفسير الجملة هذه:(وحامل القرآن غير الغالي فيه) يغلو: يشتط ويزيد في تفسير الآيات ما ليس منها، (ولا الجافي عنه) هذا المُقصِّرفي العمل به، (الجافي) هو فلان جفى فلان بمعنى: أعرض عنه، فالجافي عن القرآن هو المبتعد عن العمل به، فإذن حامل القرآن، حافظ القرآن الذي يُعتبر مَن احترمه وأكرمه مُكرِمًا لله –عز وجل – يُشترط في هذا الحافظ للقرآن شرطان اثنان:

الأول: ألَّا يكون مؤولًا للقرآن تأويلا يُعطِّل فيه المعاني الصحيحة، ويُحمله من المعاني ما لا يتحمَّل.

والصفة أو الشرط الآخر : أن يكون عاملًا بالقرآن وليس جافيا عنه وتاركًا العمل به ومع الأسف الشديد إن وجدنا قارئا يعمل بالقرآن: مثلا لا يستحل ما حرَّم الله، إن وجدنا هذا فلا نجد الحافظ للقرآن لا يُغالي فيه أي لا يُفسره تفسيرًا غير صحيح، إن وجدنا من الحُفّاظ صالحين، فلا نجد من الحُفّاظ غير متأولين للقرآن بالتفسير بالباطل، ولذلك اتصاف حافظ القرآن بهاتين الصفتين في هذا الزمان عزيز وعزيز جدا.

وأخيرًا يقول (وإكرام ذي السلطان المقسِط)، المقسط يعني: العادل، من إكرام الله –عز وجل– أن يُكرم المسلم الحاكم المسلم المقسط أي العادل؛ ذلك لأن هذا الإمام العادل هو من أولئك السبعة الذين يُظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلَّا ظله.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾ [الأحزاب]، أمَّا بعد،

لا نزال في باب رحمة البهائم، بحثنا الآن في الحديث الثمانين بعد الثلاثمائة، وقد رواه المُصنِّف – رحمه الله – بإسنادٍ صحيح، عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: (ارحموا تُرحَموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويلٌ لأقماع القول، ويلٌ للمُصرِّين الذين يُصرّون على ما فعلوا وهم يعلمون) أورده المصنِّف رحمه الله – في هذا الباب في عموم قوله –عليه السلام– (ارحموا تُرحموا) أورده في باب رحمة البهائم، لأن قوله –عليه السلام: (ارحموا تُرحموا) يعمُّ رحمة كل المخلوقات.

فقوله عليه الصلاة و السلام: (ارحموا تُرحموا) يشمل رحمة البهائم أيضا، ولذلك أورده المصنّف تحت باب: رحمة البهائم، كما قال ﷺ (واغفروا يغفر الله لكم) وهذا كما سبق في درسٍ ماضٍ من قول عُمر ﷺ قال: (من لا يغفر لا يُغفَر له) وقلنا يومئذ] أن هذه الجملة ممكن أن عمر بن الخطَّاب قاس على قوله ﷺ (من لا يرحم لا يُرحم) وممكن أنه سمعه من الرسول ﷺ ولكنه لم يرفعه، والآن هنا يأتي الحديث برواية عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا إلى النبي ﷺ بلفظ:

(واغفروا يغفر الله لكم) فكما أن الله –عز وجل – يُقابل رحمة عبده لخلقٍ من خلقه بأن يغفر الله –عز وجل – لعبده هذا، كذلك يُقابل مغفرة عبدٍ من عباده لأحد من خلقه يُقابل ذلك ربنا –عز وجل – بأن يغفر الله لعبده هذا أي إنَّ الجزاء من جنس العمل.

(ويل لأقماع القول): هذا كلام عربي لازم أن نفهمه، الأقماع جمع قِمع، ومن المعروف أن القمع هو الإناء المخروطي الشكل الذي يوضع على وعاء كبير مثلا لإملاء هذا الوعاء بواسطته بالماء أو بسائل ما، فالرسول ﷺ يقول: (ويلٌ لأقماع القول): تشبيه بديع جدًّا، يدعو بالويل، والويل وادٍ في جهنَّم تستعيذ منه جهنَّم من هول النار الذي فيه، فالرسول ﷺ يدعو بالويل على هذا لمن؟ لجنسٍ من الناس شبَّههم بأنَّهم كالأقماع أي من حيث أنّهم يسمعون القول ولا يحفظونه بمعنى أنه يفوت القول مثل دخول الماء في القمع –ما حفظ شيء، ما بقى فيه شيء، فات من هنا راح هنا، راح للظرف الثاني، فقال: (ويلٌ لأقماع القول) أي للناس الذين هم كالأقماع أي يجري فيهم الكلام ويسمعونهثم مثل ما يقول العامة: (بيدخل من هون ويطلع من هون).

إذن قوله: (أقماع القول) أي أن هذا السامع للكلام وللقول لا يحفظه ولا يعيه وبالتالي هو لا يعمل به، هؤلاء شبَّههم الرسول ﷺ بالأقماع الذين هم طريق لمرور القول بس والكلام، ولا يستفيد القمع من هذا الذي يمر فيه، فقد يمر فيه زيت، قد يمر فيه سمن أي شيء نافع لكن هذا سوف لا ينتفع بهذا الذي يمر فيه، فدعا الرسول ﷺ على هذا الجنس من الناس الذين يسمعون

القول ثم لا يتبعونه، فـ (أقماع القول) كناية بديعة جدًّا لهؤلاء الناس الذين يسمعون الكلام ثم لا يتَّعظون به ولا ينتفعون به.

كذلك دعا لجنسٍ آخر من الناس فقال: (ويلٌ للمُصرِّين الذين يُصرّون على ما فعلوا وهم يعلمون) يعني هذا الدعاء أيضا على نوع آخر من الناس متعجرفين متكبِّرين يُصرُّون على خطئهم –وعلى حد تعبير العامّي – [...] عارف حاله وين، بيخطئ و بيكابر وبيُصِرّ وهم يعلمون، هؤلاء أيضًا دعا عليهم الرسول ﷺ بالويل.

ثم ساق المُصنِّف حديثا آخر بإسنادٍ حسن عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ (من رحمَ ولو ذبيحةً رحمهُ الله يوم القيامة) هذا على ميزان الحديث الذي مرَّ معنا في الدرس الماضي (والشاة إن رحمتها رحمك الله) فهذا شاهدٌ لذاك وذاك شاهدٌ لهذا، من رحم ولو ذبيحةً رحمه الله يوم القيامة.

يأتي بباب جديد يدخل في باب رحمة البهائم، لكن على تفصيل في نفس الباب وفي الحديث الذي تحته حيث قال: باب: أخذ البيض من الحُمَّرة، الحُمَّرة: نوع من الطير الصغير. فهل يجوز أخذ البيض؟ إذا ما نحن نظرنا إلى الباب السابق– باب: رحمة البهائم – تُرى لو أُخِذَ بَيض الطائر في وكره فماذا سيصيب هذا الطائر حينما يأتي ولا يجد البيض؟؟ لا شك أن الأمر سيُكربه، شأن الحيوان شأن الإنسان تمامًا. إذن من مقتضى رحمة الحيوان الَّا يؤخذ البيض من من وكره ولا الفرخ من عشه؛ لأن ذلك سيؤذي أبويه.

وتحت هذا الباب يأتي بالحديث الآتي الذي رواه بإسنادٍ صحيح عن عبد الله وهو ابن مسعود ﷺ: (أن النبي ﷺ نزل منزلًا –خرج في البريَّة فنزل منزلًا – فأخذ رجلٌ بيض حُمَّرة فجاءت تُرفرف على رأس رسول الله ﷺ– بتطير طيران وتقف فوق رأس الرسول، ليُشعِر هذا الطيران بأن هناك شيء، هذا الشيء فهمه الرسول ﷺ على الغالب بطريق الوحي، وممكن أن يفهم بعض الناس: بطريق الفراسة؛ لأن الرسول ﷺ حينما رفرفت الحمَّرة على رأسه بادر أصحابه فقال: (أيُّكم فجَّع هذه ببيضتها؟ فقال رجلٌ: يا رسول الله أنا أخذتُ بيضتها، فقال النبي ﷺ: أرددها رحمةً لها) حتى البيضة إذا أخذها الإنسان خطأً من عيش الطير فردّ البيضة إلى هذا العش هو رحمة لهذا الطير يُجازَى عليها الإنسان بأن يرحمه الله –تبارك وتعالى– يوم القيامة كما رحم تلك المرأة البغيّ حينما سقت كلبًا كاد العطش يُميته فشكر الله لها فغفر لها.

الرابط الصوتي

3B%8D%AF%8D%7A%8D%3B%8D%84%9D%7A%8D%-7B%8D%A8%9D%1B%8D%4B%8D%84%9D%7A%8D%/6240/lesson/net.islamway.ar//:http